

## التحرير والتنوير

والسبيل : حقيقته الطريق . ومر في قوله ( ما على المحسنين من سبيل ) وقوله ( إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ) مستعار لمعنى السلطان والمؤاخذة بالتبعية شبه السلطان والمؤاخذة بالطريق لأن السلطة يتوصل بها من هي له إلى تنفيذ المؤاخذة في الغير . ولذلك عدي بحرف ( على ) المفيد لمعنى الاستعلاء وهو استعلاء مجازي بمعنى التمكن من التصرف في مدخول ( على ) . فكان هذا التركيب استعارة مكنية رمز إليها بما هو من ملائمتها المشبه به وهو حرف ( على ) . وفيه استعارة تبعية .

والتعريف باللام في قوله ( إنما السبيل ) تعريف العهد والمعهود هو السبيل المنفي في قوله تعالى ( ما على المحسنين من سبيل ) على قاعدة النكرة إذا أعيدت معرفة أي إنما السبيل المنفي عن المحسنين مثبت للذين يستأذنونك وهم أغنياء . ونظير هذا قوله تعالى ( إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ) في سورة الشورى . فدل ذلك على أن المراد بالسبيل العذاب .

والمعنى ليست التبعية والمؤاخذة إلا على الذين يستأذنونك وهم أغنياء الذين أرادوا أن يتخلفوا عن غزوة تبوك ولا عذر لهم يخولهم التخلف . وقد سبقت آية ( فما جعل لكم عليهم سبيلا ) من سورة النساء وأحيل هنالك تفسيرها على ما ذكرناه في هذه الآية . وجملة ( رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ) مستأنفة لجواب سؤال ينشأ عن علة استيذانهم في التخلف وهو أغنياء أي بعثهم على ذلك رضاهم بأن يكونوا مع الخوالف من النساء . وقد تقدم القول في نظيره آنفا .

وأسند الطبع على قلوبهم إلى ا [ في هذه الآية بخلاف ما في الآية السابقة ( وطبع على قلوبهم ) لعله للإشارة إلى أنه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه بل هو طبع على طبع أنشأه ا [ في قلوبهم لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عماية ولأجل هذا المعنى فرع عليه ( فهم لا يعلمون ) لنفي أصل العلم عنهم أي يكادون أن يساواوا العجاوات .

( يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا ا [ من أخباركم وسيرى ا [ عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون ) استئناف ابتدائي لأن هذا الاعتذار ليس قاصرا على الذين يستأذنونك في التخلف فإن الإذن لهم يغنيهم عن التبرؤ بالحلف الكاذب فضمير ( يعتذرون ) عائد إلى أقرب معاد وهو قوله ( وقعد الذين كذبوا ا [ ورسوله ) فإنهم فريق من المنافقين فهم الذين اعتذروا بعد رجوع الناس من غزوة تبوك .

وجعل المسند فعلا مضارعا لإفادة التجدد والتكرير .

و ( إذا ) هنا مستعملة للزمان الماضي لأن السورة نزلت بعد القفول من غزوة تبوك .

وجعل الرجوع إلى المنافقين لأنهم المقصود من الخبر الواقع عند الرجوع .

والخطاب للمسلمين لأن المنافقين يقصدون بأعدائهم إلى النبي A ويعيدونها مع جماعات المسلمين .

والنهي في قوله ( لا تعتذروا ) مستعمل في التأييس .

وجملة ( لن نؤمن ) في موضع التعليل للنهي عن الاعتذار لعدم جدوى الاعتذار يقال : آمن له

إذا صدقه . وقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى ( ويؤمن للمؤمنين ) .

أخباركم من ا □ نبأنا قد أي تصديقهم لنفي تعليل ( أخباركم من ا □ نبأنا قد ) وجملة A E

بما يقتضي تكذيبكم فالإبهام في المفعول الثاني ل ( نبأنا ) الساد مسد مفعولين تعويل على أن المقام يبينه .

و ( من ) اسم بمعنى بعض أو هي صفة لمحذوف تقديره : قد نبأنا ا □ اليقين من أخباركم .

وجملة ( وسيرى ا □ عملكم ) عطف على جملة ( لا تعتذروا ) أي لا فائدة في اعتذاركم فإن

خشيتم المؤاخذة فاعملوا الخير للمستقبل فسيرى ا □ عملكم ورسوله إن أحسنتم ؛ فالمقصود

فتح باب التوبة لهم والتنبيه إلى المكنة من استدراك أمرهم . وفي ذلك تهديد بالوعيد إن

لم يتوبوا